

## حياة ابن الجوزي و منهجه في التفسير من خلال زاد المسير

Mehmet KILIÇARSLAN\*

### ÖZET

İbnu'l-Cevzî, tefsir, tefsir usulü, hadis, fıkıh, kelâm, akaid, ahlak, tarih gibi bütün ilim dallarında eserler kaleme almış; eserleri, sonradan yazılan kitaplara içerik ve usul bakımından örneklik etmiş, taassuptan ve tarafgirlikten uzak, aklı ve naklî deliller ışığında konuları irdeleyen mutedil bir âlimdir. Onun te'lifâtına müracaat eden her araştırmacı, engin bir ilim deryasına dalacak, bir usulcünün sistematiğini, muhaddisin tenkitçiliğini, fıkıhçının mudakkikliğini, kelamcının felsefî yaklaşımını, tarihçinin nesnellliğini müşahede edecek; zihninde yeni ufukların oluşmasına zemin hazırlayacaktır. İbnu'l-Cevzî, her şeyden önce bir müfessirdir ve en meşhur olduğu alan tefsirdir. Bu makalede hayatının kısa bir özetini verildikten sonra, değerli eseri Zâdu'l-Mesîr bağlamında genel hatlarıyla tefsir metodunu ortaya konulmaya çalışılacaktır.

**Anahtar Kelimeler:** İbnu'l-Cevzî, metot, tefsir, nesnellik, Zâdu'l-Mesîr.

اسمه الكامل هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر القرشي التيمي البكري البغدادي مع أنه مشهور باسم "ابن الجوزي"<sup>1</sup> و بلقب "جمال الدين". فقيه من فقهاء الحنابلة و حافظ و مفسر و خطيب و مؤرخ و أديب و مؤلف غزير الإنتاج لم يترك علماً من العلوم إلا ألف كتاباً فيه. اختلف في تاريخ ولادته و قيل عام 508 و قيل عام 509 و قيل عام 510 هجرية. الأرجح أنه ولد عام 511. لأنه يقول في بيان له: "لا أتحقق

\* Dr. Milli Eğitim, 76mkaa@gmail.com.

<sup>1</sup> أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي, سير أعلام النبلاء, تحقيق: شعيب الأنطوط و حسين الأسد, دار الكتب العلمية, بيروت .XXI/365, 1990.

مولدي غير أنه مات والدي في سنة 514 هجرية و قالت لي والدي كان لك من العمر ثلاث سنوات." نفهم من هذا أن ولادته كانت سنة 511.<sup>2</sup>

بعد وفاة أبيه عاش أبو الفرج عند أمه مع عمته. كانت عمته امرأة صالحة فلما ترعرع حملته عمته إلى ابن ناصر. عندما أحس ابن ناصر بأنه ذكي للغاية اعتنى به. أولاً بذل وسعه في إكمال حفظه للقرآن. بعد ذلك أخذه إلى شيوخ يصل عددهم إلى سبع و ثمانين.<sup>3</sup> قرأ عند أبي الوقت المسند للإمام أحمد بن حنبل و صحيح البخاري و صحيح مسلم و جامع الترمذي و تاريخ الخطيب البغدادي و مؤلفات ابن أبي الدنيا.<sup>4</sup> ثم أكمل دراسته في علم الفقه و الوعظ عند ابن الزاغوني. كان يقول عنه: إنه كان يعظ في مسجد المنصور. أخذت منه الفقه.<sup>5</sup> عند الشريف أبي القاسم علي بن يعلى أخذ علم الخطابة. تأثر منه كثيراً و مع مرور الزمن صار خطيباً مشهوراً. كان ابن الجوزي يقول عن نفسه: أنا أول من فسّر القرآن و بيّنه من أوله إلى آخره على كراسي الوعظ.<sup>6</sup> و غير ذلك أخذ العلم من كثير من العلماء و منهم: القاضي أبو بكر الأنصاري, أبو القاسم الحريري, أبو الحصين, علي بن عبد الواحد الدينوري, الحسين بن محمد البار, أبو السعادات أحمد بن أحمد المتوكلي و أخوه يحيى, أبو سعد إسماعيل بن أبي صالح.<sup>7</sup>

كان لا يخرج من بيته إلا للتعليم و التعلّم و إقامة الجمعة و الوعظ. استفاد منه كثير من الناس في أخذ العلم. لكننا لا نعرف أسماء كلهم. الذين ألفوا كتباً و بواسطة كتبهم تعرّفنا عليهم هم المعروفون فقط. ها هي أسماء بعض طلابه: موافق الدين ابن قدامة, ابن الديبسي, ابن النجار, ابن محيي الدين يوسف, سبطه شمس الدين يوسف بن فرغالي, الضياء بن الخليل, ابن عبد الدائم, أبو الحسن أحمد بن عمر القاطعي, أبو القاسم علي بن أبي الفرج ابن الجوزي, أبو المظفر سبط ابن الجوزي, النجيب عبد اللطيف, عبد الغني

<sup>2</sup> هارون عبد السلام محمد, معجم مقيدات ابن خلكان, مكتبة الخانكي, القاهرة 1987, ص. 322.

<sup>3</sup> ابن الجوزي, صيد الخاطر, تحقيق: عبد القادر أحمد عطا, دار الكتب العلمية, بيروت 1992, ص. 5.

<sup>4</sup> أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي, زاد المسير في علم التفسير, تحقيق: زهير الشاويش, دار المكتب الإسلامي, بيروت 1984, مقدمة التحقيق, I/22.

<sup>5</sup> ابن الجوزي, زاد المسير, I/23.

<sup>6</sup> ابن الجوزي, مشيخة ابن الجوزي, تحقيق: محمد محفوظ, دار الغريب الإسلام, بيروت 1980, مقدمة التحقيق, ص. 19.

<sup>7</sup> ابن الجوزي, زاد المسير, I/23.

المقدسي، محمد بن محمود البغدادي، يوسف بن خليل، عبد الله بن أحمد المقدسي، الضياء محمد، الزين بن عبد الكريم.<sup>8</sup>

كان ابن الجوزي يقلد مذهب الإمام أحمد بن حنبل مع أنه كان فقيهاً و مجتهداً. لكنه إذا بحث عن حكم مسألة و لم يجد في فتاوى الإمام أحمد كان يراجع الإمام الأعظم أبا حنيفة و الشافعي والإمام مالك<sup>9</sup> و أحياناً كان يجتهد هو نفسه. لم يكن متعصباً لمذهب واحد فقط.

كان يبتعد عن أهل السياسة دائماً لكنه لم يقدر أن ينقذ نفسه من شرهم. افتري عليه رجل كان اسمه عبد الوهاب الحنبلي. الوزير ابن القصاب - كان رجلاً شيعياً و بسبب كون ابن الجوزي من أحفاد أبي بكر الصديق كان لا يحبه - بسبب هذا الافتراء أمر باعتقاله و حبسه لخمسة سنين في الوسط. بعد الإنتهاء من العقاب ما عاش طويلاً. توفي سنة خمسماية و سبعة و تسعين في اليوم السابع من رمضان. دفن بقرب قبر أحمد بن حنبل. ترك من خلفه ثلاثة أولاد و ثلاث بنات.<sup>10</sup>

#### مؤلفاته

يصل عدد مؤلفاته تقريباً إلى ألف كتاب. في علم التفسير، الحديث، الفقه، العقيدة، التاريخ، الأخلاق... الخ ألف في هذه العلوم كتباً. جميع كتبه بمنهجها و بترتيب أبوابها و بمعلوماتها المشبعة تعجب المتخصصين. هنا سنذكر مؤلفاته في علم التفسير فقط. لأن تعريف كتبه يحتاج إلى كتاب مستقل.

1- المغني في التفسير: يقال إنه مكون من واحد و ثمانين مجلداً.<sup>11</sup> خاف ابن الجوزي من أن الناس لا يستطيعون أن يقرؤوه كاملاً فلخصه بتلخيص خال من التكرار و ألف زاد المسير. في نهاية زاد المسير يشير إلى تفسيره هذا و يقول: فلا يعتقدن من رأى

<sup>8</sup> يوسف إيان سركيس، معجم المطبوعات العربية، مطبعة سركيس، مصر 1928، ص. 67-68؛ أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت 1986، IV/1342.

<sup>9</sup> زاد المسير، I/181.

<sup>10</sup> عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية و النهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الكتب العلمية، بيروت، XII/70-71.

<sup>11</sup> الذهبي، سير أعلام النبلاء، XXI/367.

اختصارنا أنّاً أقللنا، فإننا قد أشرنا بما ذكرنا إلى ما تركنا و دللنا. و من أراد زيادة بسط

في التفسير فعليه بكتابتنا المعني في التفسير.<sup>12</sup>

2- زاد المسير: سنقدم المعلومات عنه بالتفاصيل في ما يلي.

3- تذكرة الأريب في تفسير الغريب: هو مجلد واحد. أيضاً يشير إليه في نهاية زاد المسير

و يقول: و إن أراد مختصراً فعليه بكتابتنا المسمّى بـ "تذكرة الأريب في تفسير

الغريب".<sup>13</sup> سبطه أبو المظفر يتكلم على هذا التفسير المختصر و يقول "هذا

التفسير معروف باسم "تيسير التبيان في علوم القرآن".<sup>14</sup>

4- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن: هو مجلد واحد يحتوي على ثلاثين باباً في علوم

القرآن. لأول مرة طبع بتحقيق عبد الفتاح عاشور لکني ما وجدت هذه الطبعة.

الطبعة التي وجدتها هي كانت بتحقيق ضياء الدين عتر.<sup>15</sup> هذا الكتاب هو أول كتاب

منهجي في علوم القرآن و الذين ألفوا كتاباً في هذا العلم تأثروا من منهجه.

5- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه و النظائر: كتاب يشرح فيه كلمات القرآن ذات

الوجوه و النظائر. يحلل ابن الجوزي في كتابه هذا مائة و ثمانين كلمة من القرآن. و هو

الآن موجود مخطوطاً في المكتبة بيازيد العمومية باسطنبول برقم 561.

6- ناسخ القرآن و منسوخه: طبع هذا الكتاب باسم "نواسخ القرآن" و بين فيه ابن

الجوزي الناسخ و المنسوخ من بين آيات القرآن. هو يقبل اثنين و عشرين آية

منسوخة و يعترض على الذين يكثرون عدد الآيات المنسوخة و يثبت لماذا هي ليست

منسوخة في الحقيقة.<sup>16</sup>

<sup>12</sup> زاد المسير، IX/280.

<sup>13</sup> زاد المسير، IX/280.

<sup>14</sup> أبو المظفر شمس الدين سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، الرسالة العالمية، دمشق 2013، VIII/482.

<sup>15</sup> ابن الجوزي، فنون الأفنان في علوم عيون القرآن، تحقيق: ضياء الدين عتر، دار البشائر الإسلامية، بيروت 1987.

<sup>16</sup> ابن الجوزي، نواسخ القرآن، تحقيق: محمد أشرف علي المليباري، مكتبة ملك فهد، المدينة المنورة 1422.

- 7- غريب الغريب: مكوّن من جزء صغير فقط. يقول ابن رجب: "مع أنه صغير الحجم فإن فائدته في شرح الكلمات الغريبة كثيرة. عند شرح الكلمات يستفيد من أشعار العرب".<sup>17</sup>
- 8- الإشارة إلى القراءة المختارة: يشرح فيه شروط القراءة الصحيحة المقبولة. مع أنّ سبطه أبو المظفر و ابن رجب كلاهما قد ذكرا اسم هذا الكتاب في تأليفاتهما و أنا بحثنا عنه كثيراً لم نجده مطبوعاً و لا مخطوطاً.<sup>18</sup>
- 9- المصقّى بأكفّ أهل الرسوخ من علم الناسخ و المنسوخ: و هو أيضاً في علم الناسخ و المنسوخ. ابن الجوزي عندما رأى بأن الناس يضحون الكثير من آيات القرآن للنسخ اهتم بكتابة الكتب في هذا العلم. يتكون المصقّى من جزء صغير واحد. في الحقيقة هذا الكتاب تلخيص كتابه المسمّى بـ"نواسخ القرآن". طبع سنة 1986 في بيروت.<sup>19</sup>

### زاد المسير

طبعته الأولى كانت أربع مجلدات و طبعها المكتب الإسلامي. و طُبع مرة ثانية فيما بعد في نفس المكتب بتحقيق زهير الشاويش تسع مجلدات. هذه الطبعة أكثر فائدة من السابق. من الممكن أن يصل القارئ مصادر الأحاديث. في أعلى الصحف توجد أرقام الآيات و هذا يسهّل للباحث الوصول إلى غايته بسهولة. أيضاً في الحاشيات السفلية توجد معلومات مهمة يشبع منها الباحث. يستفيد ابن الجوزي من الأشعار كثيراً ولا يذكر أسماء شعرائها. بعض الأشعار قائلها مجهول لا يُعرف لكنّ بعضها قائلها معلوم و في الطبعة الثانية يشير المحقق زهير الشاويش إلى أصحاب الأشعار.

يقول ابن الجوزي عن سبب كتابة زاد المسير: إني نظرت في جملة من كتب التفسير، فوجدتها بين كبير قد ينس الحافظ منه، و صغير لا يستفاد كل المقصود منه، و المتوسط منها قليل الفوائد، عديم

<sup>17</sup> ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان الأسمن، مكتبة العبيكان، رياض I/417, 2005.

<sup>18</sup> أبو المظفر، مرآة الزمان، VIII/481: ابن رجب، الذيل، I/411.

<sup>19</sup> ابن الجوزي، المصقّى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ و المنسوخ، تحقيق: خاتم صالح الصامن، مؤسسة الرسالة، بيروت 1986.

الترتيب, و ربما أهمل فيه المشكل, وشرح غير الغريب, فأتيتك بهذا المختصر اليسير, منطويا على العلم الغزير و سمّيته ب"زاد المسير".<sup>20</sup> لسانه خفيف و حلوله جملة بعيدة عن التزيين و التطويل تهدف الوصول إلى الغاية فقط.

### مصادر زاد المسير

أ- مصادر اللغة: بالرغم من عدم ذكر كتابه يذكر ابن الجوزي اسم الرّجّاج و آراءه دائماً. نفهم من هذا أن كتابه "معاني القرآن و إعرابه" كان موجوداً تحت يده. يستفيد من الرّجّاج في أخذ إعراب الكلمات و في أخذ المعلومات عن القبائل التي تكون قراءة بعض الآيات بلهجتهم. و يروي عنه أشعاراً كثيرة.<sup>21</sup> أيضاً يعطي معلومات عن أصل كلمات القرآن و اختلافات القراءة روايةً عن محمد بن القاسم الأنباري. هو ما ذكر اسمًا من أسماء مؤلفات ابن الأنباري. لكن من كثرة الإستعمال نفهم أن بعض كتبه (مثل "كتاب الأصداد" و "الظاهر في معاني كلمات الناس" و "إيضاح الوقف و الإبتداء في كتاب الله") كانت موجودةً عنده. إن أبا زكريا يحيى بن زياد الفراء يُذكر في زاد المسير في كل صفحة. يستفيد ابن الجوزي منه في أخذ معاني الكلمات الغريبة و أخذ التحاليل النحوية و الصرفية و إعطاء الفنون البلاغية و الإستشهاد بالشعر و شرح لهجات القبائل. كتابه "معاني القرآن" و كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى و كتاب "المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم" لموهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي كانت تشكل مصادره اللغوية.

ب- مصادر التفسير: "تفسير مجاهد" الذي يُسنَدُ إلى مجاهد, "كتاب التفسير" لأبي الخطاب قتادة بن دعامة, "تأويل مشكل القرآن" لأبي محمد عبد الله بن مسلم الدينوري, "التفسير الكبير" لمقاتل بن سليمان, "جامع البيان عن تأويل القرآن" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري كانت تشكل مصادره التفسيرية.

ت- مصادر الحديث: "صحيح البخاري", "صحيح مسلم", "الجامع الكبير" للترمذي, "المسند" للإمام أحمد, "السنن" للنسائي, "السنن" لأبي داود, "السنن" لابن ماجه, "الموطأ"

<sup>20</sup> زاد المسير, I/3.

<sup>21</sup> زاد المسير, II/2; I/29.

للإمام مالك، "المستدرک" و "الأسامي و الکتبی" للحاکم، "السنن الکبری" و "الدلائل" للبيهقي تشكل مصادر الحديث.

ث- مصادر الفقه: "جامع البيان عن تأويل القرآن" للطبري، "كتاب الفرائض" لأبي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري، "الجامع الصغير" لمحمد بن حسين الفراء البغدادي، "الهداية إلى بلوغ النهاية" لأبي محمد مكي بن ابي طالب تشكل مصادر الفقهية.

ج- مصادر القراءة: "الرد على من خالف مصحف عثمان" لأبي بكر محمد بن القاسم بن الأنباري، "الحجة للقراء السبعة" لأبي علي تشكل مصادر القراءة. كلما أعطى اختلافاً في القراءة يترك الكلمة الأخيرة لأبي علي بسبب ثقته له.

#### منهجه في "زاد المسير"

يفسر السور على ترتيب المصحف. لا يترك سورة إلا يفسرها و لا يغير أماكن السور لا بالتقديم و لا بالتأخير. يبدأ من سورة الفاتحة و ينتهي بسورة الناس. أولاً يقدم المعلومات عن السورة التي يريد تفسيرها. يعرفها تحت ضوء الأحاديث النبوية.<sup>22</sup> إن وجد حديث نبوي للسورة على فضيلتها أو قيمتها أو أهميتها يُعطيها.<sup>23</sup> يستفيد من المصادر الصحيحة مثل صحيح البخاري و صحيح مسلم و المسند للإمام أحمد بن حنبل. إن لم يوجد حديث للسورة أو يوجد لكن في صحته مشككة، يبدأ تفسير السورة مباشرة.<sup>24</sup> و أيضاً إن وجدت للسورة خصلة خاصة لها يشر إليها. مثلاً في بداية سورة النجم يقول: "و هذه أول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة."<sup>25</sup>

في أوائل السور يقدم علم المكبية و المدنية. و أيضاً إذا اختلف العلماء في كون السورة مكبية أو مدنية يشر إلى هذا الاختلاف و الآراء.<sup>26</sup> إذا كانت سورة مكبية و بعض آياتها مدنية أو بالعكس يشرح هذه

<sup>22</sup> زاد المسير، I/10, 19 ; II/1, 267 .

<sup>23</sup> زاد المسير، IV/72 .

<sup>24</sup> زاد المسير، I/349 .

<sup>25</sup> زاد المسير، VIII/62 .

<sup>26</sup> زاد المسير، V/3; IV/3 .

التفاصيل.<sup>27</sup> أحياناً لا يعطي المعلومات عن السورة التي يعطيها في الأزمنة العادية و يبدأ مباشرة لتفسير السورة.<sup>28</sup>

كما تعلم لبعض السور أسماء عديدة. يمنح لنا ابن الجوزي هذه الأسماء في بداية السور. في بعض الأحيان يستفيد من الأحاديث النبوية لإعطاء أسماء السور.<sup>29</sup> مثلاً عن سورة المؤمن يقول: "قال أبو سليمان الدمشقي يقال لها سورة الطُّول."<sup>30</sup> و للسورة فُصِّلَتْ هو يستخدم عنوان "السجدة" و يقول: "يقال لها سجدة المؤمن و يقال لها المصاييح."<sup>31</sup>

تفسير ابن الجوزي من خلال أسباب النزول ذو قيمة عالية. لكل آية من آيات القرآن التي لها سبب نزول يعطي هذا السبب. لو تعددت هذه الأسباب يمنح للقارئ كلها. يمكنك أن تشاهد لآية واحدة حَمَسَ روايات في سبب النزول.<sup>32</sup> لا يريد أن يترك رواية تحوي معلومةً جديدةً و أظن كان يخاف من فقدان الأحاديث و تركها بدون العلة. هو كثيراً يمنح للقارئ أسباب النزول و يسكت. لكنه أحياناً يعطي الروايات كلها و يجرح بعضها حسب القرآن أو حسب الأحاديث الصحيحة أو حسب المعلومات التاريخية و يفضل بعض الروايات على أخرى.<sup>33</sup>

يعطي الاختلافات بين القراءات و لا يكفي بإعطاء آراء أئمة القراءات فقط, بل يعطي قراءات أصحاب الرسول ﷺ و آراء العلماء من التابعين حتى آراء أئمة المذاهب الفقهية مثل أبي حنيفة.<sup>34</sup> لو كانت هذه الاختلافات تُؤثِّر على المعنى يشرح لنا كيف تُؤثِّر و كيف تغيّر المعنى.<sup>35</sup> مع أن القرآن أنزل بلهجة

<sup>27</sup> زاد المسير, VIII/3.

<sup>28</sup> زاد المسير, IX/4.

<sup>29</sup> في بداية سورة الفاتحة روى حديثاً عن أبي بن كعب و قال: "قرأ عليه أبي بن كعب أم القرآن... انظر إلى زاد المسير, I/10.

<sup>30</sup> زاد المسير, VII/204.

<sup>31</sup> زاد المسير, VII/240.

<sup>32</sup> زاد المسير, I/128.

<sup>33</sup> زاد المسير, I/134.

<sup>34</sup> زاد المسير, I/13.

<sup>35</sup> زاد المسير, I/30,45.



قريش توجد فيه بعض كلمات من لهجات أخرى و أحياناً يعطي لنا ابن الجوزي معلومات عن أسماء القبائل التي كانت الكلمة بلهجتهم.<sup>36</sup>

كان كبار الصحابة و التابعين يقرؤون آيات القرآن و يزيدون عليها بعض الكلمات بمثابة التفسير. مثلاً آخِرُ الآية الثالثة و الثلاثين من سورة النور ينتهي بجملة "فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم". الجملة بحالها هذا مهمة تحتاج إلى التفسير. هل الله غفور لِمَنْ أُجْرِهِنَّ عَلَى الزنا أم غفور للمُكْرَهَاتِ؟ مثل هذه الحالات يعطي ابن الجوزي قراءات كبار الصحابة و التابعين. عن الآية السابقة يقول: "قرأ ابن عباس و أبو عمران الجوني و جعفر بن محمد: "من بعد إكراههن لهن غفور رحيم"<sup>37</sup> كما تشاهد هذه القراءة تزيلاً للإبهام و تساعدنا في أن نفهم بأن الله غفور للمكراهات.

يعطي المعلومات المهمة عن كلمات القرآن مثل معانيها و أصلها و التغييرات فيها. يستشهد من الأشعار، خاصة من الأشعار الجاهلية كي يقوي المعنى الذي اختاره.<sup>38</sup> عندما يشرح معنى كلمة أولاً يبحث عن معناها في القرآن. إن وجد في القرآن لا ينظر إلى مصدر آخر. و إن لم يجد في القرآن يبحث عن معناها في الأحاديث النبوية.<sup>39</sup> لا يكتفي بإعطاء معنى الكلمة فقط، بل إن كانت الكلمة مفرداً يعطي جمعها أو كانت جمعاً يعطي مفرداً و هكذا يعطي ماضي الكلمة و مضارعها و مصدرها.<sup>40</sup> لذلك من يرد أن يعلم و يتعلم أصول كلمات القرآن و معانيها الأصلية و معانيها في الجاهلية فليراجع زاد المسير.

أيضاً إن وجد في كلمة إدغام أو إقلاب أو سقوط حرف بسبب الإضافة أو بسبب إدخال الحروف الجازمة و نحو ذلك أي تغيير من التغييرات يشرحه. مثلاً يقول عن كلمة (فمن اضطر)<sup>41</sup>: أي الجئي بضرورة. و قرأ أبو جعفر "فمن اضطر" بكسر الطاء و أدغم ابن محيصن الضاد في الطاء.<sup>42</sup>

<sup>36</sup> زاد المسير، I/118.

<sup>37</sup> زاد المسير، VI/39.

<sup>38</sup> زاد المسير، I/18.

<sup>39</sup> زاد المسير، VI/95-96.

<sup>40</sup> زاد المسير، VIII/129.

<sup>41</sup> سورة البقرة، II/173.

<sup>42</sup> زاد المسير، I/175.

و من المعروف أنه يوجد في القرآن بعض الزيادات التي تستخدم لتقوية المعنى أو لتجميل الكلام. إذا رأى زيادة في الحروف أو العبارات أشار إليها و شرح تفاصيلها. مثلاً في آية (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة)<sup>43</sup> حرف زائد. يقول ابن الجوزي عنه: " (ما) زائدة و هذا اختيار أبي عبيدة و الرَّجَّاح و البصريين."<sup>44</sup> أيضاً في آيتي 20-21 من سورة فاطر حرف (لا) زائد و يكرّر أربع مرات: (و لا الظلمات و لا النور و لا الظل و لا الحرور). أشار ابن الجوزي إليه و قال: " و في (لا) المذكورة في هذه الآية قولان. أحدهما: أنها زائدة مؤكدة. و الثاني: أنها نافية لاستواء أحد المذكورين مع الآخر."<sup>45</sup>

كما توجد في القرآن زيادات أيضاً يوجد نقص العبارات و حذف الكلمات. في الآية (وَأَشْرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ)<sup>46</sup> يوجد حذف كلمة. يقول ابن الجوزي عنها: "اي سقوا حب العجل فحذف المضاف و هو الحب و أقام المضاف إليه مقامه."<sup>47</sup>

في بعض آي القرآن نشاهد التقديم و التأخير. مثل هذه الحالات يشير ابن الجوزي إليهما. في آية (و إنه لقسم لو تعلمون عظيم)<sup>48</sup> يقول ابن الجوزي: "الهاء كناية عن القسم. و في الكلام تقديم و تأخير. تقديره: و إنه لقسم عظيم لو تعلمون عظيمه."<sup>49</sup>

إن ابن الجوزي يقدم للقارئ آراء المفسرين السابقين الذين لم تصل كتبهم إلينا. و إن زاد المسير كموسوعة أكاديمية مملأ فراغاً مهمماً في علم التفسير بإيصاله آراء السابقين إلى يومنا هذا. من يقرأ زاد المسير كأنه يتجول بين التفاسير السابقة. يمكن للقارئ أن يصل في نفس الجملة إلى رأي ابن عباس و مقاتل و مجاهد و ابن زيد.... الخ<sup>50</sup> من خلال تفسيره.

<sup>43</sup> سورة البقرة, 2/26.

<sup>44</sup> زاد المسير, I/54.

<sup>45</sup> زاد المسير, VI/484.

<sup>46</sup> سورة البقرة, 2/93.

<sup>47</sup> زاد المسير, I/115.

<sup>48</sup> سورة الواقعة, 56/76.

<sup>49</sup> زاد المسير, VIII/151.

<sup>50</sup> زاد المسير, I/33.

إن وُجِدَت في الآياتِ الفنونُ الأدبية يُشَرُّ إليها كي يَرَى القارئُ غنى الآية و ينظر إليها من جهة أخرى.<sup>51</sup> هدفه النهائي لم يكن تزيين تفسيره فقط، بل يريد أن يُرَى للقارئ جمال الآية بجمالها. في تفسير آية (و أيوب إذ نادى ربه أي مسني الضر و أنت أرحم الراحمين)<sup>52</sup> يقول: "أي أكثرهم رحمة. و هذا تعريض منه بسؤال الرحمة إذ أتى عليه بأنه الأرحم و سكت."<sup>53</sup> هذا الفن يسمّى عند أهل البلاغة بـ"سكوت البليغ". في هذا الفن تنتهي الجملة بشكل لا يُتَوَقَّع. المتكلم يعرض حاله بتلخيص للمخاطب و يسكت.<sup>54</sup> أمثاله في القرآن كثير مثل ما فعل آدم و حواء في دعاءهما "قالا ربنا ظلمنا أنفسنا... و موسى في دعاءه "رب إني لما أنزلت إليّ من خير فقير". كما ترى ابن الجوزي لا يتكلم على هذا الفن و لا يزعج نفسه و إيانا لفهم هذا الفن. فقط يشرح ماذا حصل باستخدام هذا الفن و استخدامه كيف يجعلها اغنى في المعنى و اكتفى بذلك.

عند الضرورة يعطي تحاليل صرفية و نحوية. على سبيل المثال في الآية العشرين من سورة آل عمران توجد كلمة (اتَّبَعْنِ) يقول عنها: أثبت الباء في الوصل دون الوقف أهل المدينة و البصرة، ابن شنبوذ عن قبيل، و وقف ابن شنبوذ و يعقوب بالياء. قال الزَّجَّاجُ: و الأَحبُّ إليّ اتباع المصحف. و ما حذف من الباءات في مثل قوله تعالى (و من اتبعن) و (و لمن آخرتن) و (ربي أكرمن) و (ربي أهانن). فهو على ضربين أحدهما: ما كان مع النون. فإن كان رأس آية فأهل اللغة يجيزون حذف الباء و يسمّون أواخر الآي للفواصل كما أجازوا ذلك في الشعر. ... فأما إذا لم يكن آخر آية أوقافية فالأكثر إثبات الباء و حذفها جيد أيضاً، خاصة مع النونات، لأن أصل (اتبعتي) (اتبعتي) و لكن النون زيدت لتسلم فتحة العين، فالكسرة مع النون تنوب عن الباء.<sup>55</sup>

التكلم على موضوعات كلامية –مثل الهداية و الضلالة، رؤية الله، عصمة الرسل و كونهم من الرجال، الفرق بين الإيمان و الإسلام، عذاب القبر، دخول المؤمن إلى النار– لا يعجبه كثيراً. في هذه الموضوعات لا يطول الكلام و يكتبها بجملة أو جملتين فقط. مثلاً في مسألة رؤية الله تكلم المتكلمون كثيراً و

<sup>51</sup> زاد المسير، I/38، 115.

<sup>52</sup> سورة الأنبياء، 21/83.

<sup>53</sup> زاد المسير، 5/375.

<sup>54</sup> حكمت آكدمير، موسوعة مصطلحات البلاغة، مكتبة النيل، إزمير 1999، ص. 12.

<sup>55</sup> زاد المسير، I/363–364.

ناقشوا. قالت المعتزلة رؤيته مستحيلة في الدنيا و الآخرة و استشهدت من آية (لَنْ تَرَانِي)<sup>56</sup> و قالت (لن) لنفي الاستقبال و آية (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)<sup>57</sup> تمنع رؤيته بشكل عام. اعترض أهل السنة على المعتزلة و أتى بدلائله و هكذا طال الأمر. ابن الجوزي قال فيها: "تعلق بهذا ثفاة الرؤية و قالوا (لن) لنفي الأبد. و ذلك غلط, لأنها قد وردت و ليس المراد بها الأبد في قوله تعالى (و لن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم)<sup>58</sup> ثم أخبر عنهم بِتَمَتِّيهِ في النار بقوله<sup>59</sup> (يا مالك ليقض علينا ربك)."<sup>60</sup> كما ترى هو اقتراب من المسألة بنظرة شمولية بالقرآن و أبطل حجة المعتزلة بدليل قاطع من القرآن.

عندما يفسر آيات الأحكام يفسرها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. لكنه لم يكن متعصباً لمذهب واحد. إذا أعجبه رأي أبي حنيفة يأخذه و إذا أعجبه رأي الشافعي أو مالك يأخذه و يترك رأي إمامه. لكنه لا يأخذ غير آراء أهل السنة. في المسائل الفقهية لا يمكنك أن ترى رأياً من آراء الشيعة أو المعتزلة.

مع أنها قليلة توجد في تفسيره أخبار إسرائيلية مثل الشجرة التي أكلها آدم و حواء في الجنة. يقول: "في الشجرة ستة أقوال"<sup>61</sup> و يحصي كلها. و لكن ليس لها خبر صحيح في القرآن و لا في السنة. جميع هذه الروايات إسرائيلية. أيضاً يمنح للقارئ أخباراً إسرائيلية عن سفينة نوح عليه السلام. كم سنة غرس أشجاراً و كانت الشجرة من أي نوع, كيف صنع السفينة, كم طابقاً جعلها, كيف أسكن أهل السفينة... الخ<sup>62</sup> انتقده المنتقدون في هذا المجال.<sup>63</sup> و قالوا إنه كان محدثاً و كان يجب عليه أن يدقق هذه الأخبار أكثر. هنا أريد أن أشير إلى أنه لم يأخذ خبراً من الأخبار الإسرائيلية إلا بعد تصديق ابن عباس و إذا نظرنا إلى هذه الأخبار نجدها كلها تأتي عن طريق ابن عباس أو عبد الله بن سلام أو كعب الأحبار أو وهب بن منبه.

<sup>56</sup> سورة الأعراف, 7/143.

<sup>57</sup> سورة الأعراف, 6/103.

<sup>58</sup> سورة البقرة, 2/95.

<sup>59</sup> سورة الزخرف, 43/77.

<sup>60</sup> زاد المسير, III/256.

<sup>61</sup> زاد المسير, I/66-67.

<sup>62</sup> زاد المسير, IV/102-103.

<sup>63</sup> محمد أشرف علي المليباري جهاز كتابه "نواسخ القرآن" للطبعة و في المقدمة ينتقده لهذا. انظر: نواسخ القرآن, مكتبة ملك فهد, المدينة المنورة 1422, ص. 53.

عبد الله بن سلام كان يعيش في المدينة المنورة وكان حَبْرًا من علماء يهود بني قَيْنُقَاع، ثم أسلم مَقْدَم<sup>64</sup> النبي ﷺ إلى المدينة، قال عنه الذهبي في السير: " الإمام الحَبْر، المشهود له بالجنة، حليف الأنصار، من خواص أصحاب النبي ﷺ. <sup>65</sup> و أيضاً كعب الأخبار يقول عنه الذهبي: كان حسن الإسلام و متين الديانة. <sup>66</sup> كل هؤلاء الناس اختاروا الإسلام بارادتهم و اعتمد ابن الجوزي على اختيارهم الإسلام بدون الإكراه و بدون المصلحة و لم يجد مانعاً لأخذ الخبر منهم.

#### مراحل التفسير

عند تفسير آي القرآن أولاً يراجع ابن الجوزي الآيات الأخرى من القرآن متعلقة بالموضوع. أعني: مصدره الأول في تفسير القرآن هو القرآن. لأن بعض آيات القرآن تفسر آيات أخرى. يستفيد ابن الجوزي من القرآن لأغراض مختلفة. أحدها: تبين معنى الكلمة. عندما يبين معنى "العزير"<sup>67</sup> يقول: قال الخطابي العز في كلام العرب على ثلاثة أوجه. أحدها: بمعنى الغلبة. يقولون مَنْ عَزَّ بَزَّ. أي من غَلَبَ سَلَبَ. يقال منه عَزَّ يُعْزُّ بضم العين من يعز. و منه قوله تعالى (و عزني في الخطاب)<sup>68</sup>. كما ترى يعطي معناها بواسطة آية أخرى. ثانيها: تقييد المطلق. في كفارة اليمين يأتي اللفظ مطلقاً (أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ)<sup>69</sup> لا يمكننا تعيين العبد هل هو مؤمن أم لا. لكن في سورة النساء (فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ)<sup>70</sup> يأتي اللفظ بقيد الإيمان. يشير ابن الجوزي إلى تقييد الله تعالى و يقول: أنه شرط و به قال الشافعي، لأن الله تعالى قيد بذكر الإيمان في كفارة القتل فوجب حمل المطلق على المقيد.<sup>71</sup> ثالثها: تخصيص العام. في آية (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) يأتي اللفظ عاماً. لكن دوام الآية يخصصها (أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ)<sup>72</sup>. ينبه ابن الجوزي على هذا و يقول: إنه خص بقوله (أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ...) بعد أن عم بقوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ...) لأنه ليس كل مفتر

<sup>64</sup> اي وقت قدومه.

<sup>65</sup> الذهبي، سير أعلام النبلاء، II/414-415.

<sup>66</sup> الذهبي، سير أعلام النبلاء، IV/472.

<sup>67</sup> سورة البقرة، 2/129.

<sup>68</sup> سورة ص، 38/23.

<sup>69</sup> سورة المائدة، V/89.

<sup>70</sup> سورة النساء، 4/92.

<sup>71</sup> زاد المسير، II/415.

<sup>72</sup> سورة الأنعام، 6/93.

على الله يدعي أنه يوحى إليه.<sup>73</sup> رابعها إزالة الإبهام. مثلاً في قوله تعالى (وَلَوْطاً آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَوَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ)<sup>74</sup> يوجد إبهام. لا نجد جواب سؤال "الخبائث ما هي؟". لكننا نجد هذا الجواب في مختلف الأماكن بالقرآن. يقول ابن الجوزي في تفسيرها: الخبائث أفعالها المنكرة، فمنها إتيان الذكور و قطع السبيل إلى غير ذلك مما قد ذكره الله عز و جل عنهم في مواضع هود/78 و الحجر/69.<sup>75</sup>

مصدره الثاني هو السنة. إن لم يجد المعنى الذي كان يبحث عنه في القرآن يراجع السنة. في بعض الأحيان لا يذكر مصدر الحديث و يعطيه مباشرة.<sup>76</sup> و أحياناً يقول: "أخرجاه في الصحيحين" يذكر مصدره و يعطي الحديث.<sup>77</sup> أثناء المراجعة إلى السنة هو يحقق كثيراً. إذا رأى في الحديث مشكلة دون تأخير يشير إليها و يشرح سبب إشكاله, بعد ذلك يمشي في طريقه. مثلاً في سورة البقرة يُذَكِّرُ اسْمًا ملكين هاروت و ماروت. في تفسير هذه الآية يشير إلى مشكلة و يقول: "و في الحديث أن النبي ﷺ (لعن الزهرة و قال إنما فتنت ملكين) إلا أن هذه الأشياء بعيدة عن الصحة. تأوّل بعضهم فقال: إنه لما رأى الكوكب ذكر تلك المرأة, لا أن المرأة مسخت نجماً."<sup>78</sup>

و أيضاً يستفيد من السنة لأغراض مختلفة. أحدها: تأييد المعنى الذي اختاره. اختلف المفسرون في يوم الذي يفر المرء من أخيه و أمه و أبيه (سورة عبس – 80/33) و قال بعضهم هذا اليوم هو يوم القيامة و قال بعضهم هو يوم البعث. شرح ابن الجوزي هذه الاختلافات و بين رأيه تحت ضوء حديث عائشة رضي الله عنها: "قالت عائشة للنبي ﷺ: أ نحشر عراة؟ قال نعم. قالت وا سوءتاه. فأنزل الله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه)<sup>79</sup> ثانيها: تبين معنى الكلمة. فلما أنزلت آية (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)<sup>80</sup> فهم بعض الصحابة كلمة الظلم بالخطأ و أتوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله! وأينا

<sup>73</sup> زاد المسير, III/85-86.

<sup>74</sup> سورة الأنبياء, 21/74.

<sup>75</sup> زاد المسير, V/370.

<sup>76</sup> زاد المسير, I/19.

<sup>77</sup> زاد المسير, VI/413.

<sup>78</sup> زاد المسير, I/124-125.

<sup>79</sup> زاد المسير, IX/36.

<sup>80</sup> سورة الأنعام, 6/82.

ذلك؟ فقال إنما هو الشرك. أم تسمعوا ما قال لقمان لابنه (إن الشرك لظلم عظيم)<sup>81</sup>. روى ابن الجوزي هذا الحديث عن طريق ابن مسعود و بين معنى الظلم حسب الحديث. ثالثها: تقييد اللفظ المطلق. في نهاية آية الميراث قال الله تعالى (من بعد وصية يوصي بها أو دين)<sup>82</sup>. كما تشاهد أتت الآية بلفظ عام. لو أخذناها بعمومها يجب علينا أن نقسم الميراث بعد دفع كل وصية و دين. لكن السنة قيّدت الآية بثلاث المال. فسرها ابن الجوزي بواسطة هذا الحديث و قال: قوله تعالى (من بعد وصية) أي هذه السهام إنما تقسم بعد الوصية و الدين. اعلم أن الدين متأخر في اللفظ مقدّم في المعنى. لأن الدين حق عليه لكن الوصية حق له و هما مقدمان على الورثة إذا كانت الوصية في ثلث المال.<sup>83</sup> رابعها: تخصيص العام. مثلاً في الآية الثالثة و عشرين من سورة النساء أحصى الله النساء اللاتي يمكن الزواج منهن و في دوامها قال (وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ)<sup>84</sup> و جعل الباقيات حلالاً. لو أخذنا الآية بهذا المعنى يكون الزواج حلالاً من امرأة بإيصالها مع خالتها أو عمتها. أما السنة تمنع ذلك. يطلب ابن الجوزي من المخاطب الملاحظة لهذا التفصيل و يفتح فصلاً خاصاً له و يقول: (وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ) تحليل ورد بلفظ العموم و أنه عموم دخله التخصيص، و المخصص له نهي النبي ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها أو على خالتها.<sup>85</sup>

مصدره الثالث هو قول الصحابة و التابعين. لو قلنا "بإمكانك أن ترى اسم ابن عباس في كل آية من آيات القرآن" لا تكون كلمتنا هذه مبالغة. يستفيد من قول الصحابة و التابعين لنفس الأغراض. كان يستفيد منهم في شرح معنى الكلمات و التعبيرات. مثلاً أثناء شرح كلمة "طوبى" يقول: "قوله تعالى (طوبى لهم) إنه شجرة في الجنة. روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال "يا رسول الله ما طوبى؟" قال "شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة. ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها." و قال أبو هريرة: "طوبى شجرة في الجنة يقول الله عز و جل لها تَفْتَقِي لعبيدي عما شاء فَتَفْتَقِي له عن الخيل بسروجها و لجمها و عن الإبل

81 سورة لقمان, 31/13.

82 سورة النساء, 4/11.

83 زاد المسير, II/28.

84 سورة النساء, 4/24.

85 زاد المسير, II/52.

بازقما و عما شاء من الكسوة." و قال شهر بن حوشب: "طوبى شجرة في الجنة كل شجر الجنة منها. أغصانها من وراء سور الجنة."<sup>86</sup> كي لا نطيل الكلام أكثر مما يلزم لن نعطي لكل غرض مثلاً.

مصدره الرابع هو أسباب النزول. كما تعلم تنقسم آيات القرآن إلى قسمين: آيات أنزلها الله بلا سبب و آيات أنزلت بسبب ما.<sup>87</sup> بعض الآيات أنزلت إجابة عن سؤال سئل رسول الله ﷺ و بعضها أنزلت لتصحيح خطأ. إذا علم المفسر هذه الأسباب يمكنه أن يفهم معنى الآية بشكل أفضل و أبعد عن الخطأ. ابن الجوزي حريص على إعطاء أسباب النزول لكي يبعد نفسه عن الخطأ. إن وجدت لآية واحدة خمسة أسباب لا يترك واحداً منها إلا يعطيها. في هذا المعنى تفسير ابن الجوزي مصدر مهم للباحثين.

مصدره الخامس هو الشعر. أحياناً يستفيد من الشعر في أخذ معنى الكلمة. أثناء شرح معنى كلمة "شياطين" يقول: و الشياطين جمع شيطان. قال الخليل كل متمرد عند العرب شيطان. و في هذا الاسم قولان. أحدهما: أنه من شطن. أي بعد عن الخير. فعلى هذا تكون النون أصلية. قال أمية بن أبي الصلت في صفة سليمان عليه السلام: أبا شاطن عصاه عكاه / ثم يلقي في السجن و الأغلال.<sup>88</sup>

و أحياناً يستفيد من الشعر كي يُري للقارئ جماليات أدبية. يوجد الاختلاف في سؤال "هل تجوز إضافة جمع غير العاقل إلى جمع ذي العاقل أم لا؟". هناك مثل جميل له في الآية: و ما أموالكم و لا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى.<sup>89</sup> يشير ابن الجوزي إلى جوازه و يقول: يصلح أن تقع "التي" على الأموال و الأولاد جميعاً. لأن الأموال جمع و الأولاد جمع و إن شئت و جهت "التي" إلى الأموال و اكتفيت بما من ذكر الأولاد. أنشد المرّار الأسدي: نحن بما عندنا و أنت بما / عندك راضٍ و الرأي

<sup>86</sup> زاد المسير، IV/327-328.

<sup>87</sup> محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العربي، بيروت 1995، I/99.

<sup>88</sup> زاد المسير، I/34.

<sup>89</sup> سورة سبأ، 34/37.



مختلف.<sup>90</sup> كما تشاهد أتت كلمة "راض" مفرداً و المبتدأ الأول هو "نحن" و هو جمع. مع كون المبتدأ الأول جمعاً اعتبر المرار بـ "انت" و أتى بالخبر موافقاً له.

مصدره السادس هو قواعد اللغة العربية و الأبعاد الخفية لها. أحياناً يعطي معلومات بعيدة عن الاستخدام اليومي يتلذذ الباحث بها. مثلاً يقول عن كلمة "الريحان": و في الريحان أربعة أقوال: أحدها: أنه الرزق. رواه عكرمة عن ابن عباس. قال الفراء: الريحان في كلام العرب الرزق. تقول خرجنا نطلب ريحان الله. و أنشد الزجاج: سلام الإله و ريحانه / و رحمته و سماء درر. و الثاني أنه خضرة الزرع. قال ابو سليمان الدمشقي: على هذا سمي ريحاناً لاستراحة النفس بالنظر إليه. و الثالث أنه ريحانكم هذا الذي يشم. و الرابع أنه ما لم يؤكل من الحب.<sup>91</sup> مثال آخر: (قد أفلح المؤمنون) "قد" ههنا يجوز أن تكون تأكيداً لفلاح المؤمنين و يجوز أن تكون تقريباً للماضي من الحال. لأن "قد" تقريب الماضي من الحال حتى تُلحقه بحكمه. أ لا تراهم يقولون: قد قامت الصلاة قبل حال قيامه. فيكون معنى الآية: إن الفلاح قد حصل لهم و إنهم عليه في الحال.

#### النتيجة

إن تفسير ابن الجوزي يفوق أمثاله من أوجه عديدة. قبل كل شيء هو تفسير معتدل من جميع النواحي. في الأحكام الفقهية و الموضوعات الكلامية و المسائل الفلسفية... لا نجد فيه إفراطاً و لا تفريطاً و هو يمشي دائماً على طريق الاعتدال. و المعلومات الغزيرة التي يقدم للقارئ عن السور في بدايتها ذات قيمة عالية. آياتها المكية و المدنية، أسماءها غير المشهورة، الأحاديث النبوية الصحيحة على فضيلتها و علوها، الصفة الخاصة لها، الاختلافات في القراءات و مصادر هذه الاختلافات، معلومات عن القبائل التي بعض كلمات القرآن بلهجتهم... الخ يمكن للباحث الوصول إلى كل هذه بواسطة تفسيره زاد المسير.

و هو لا يغير أماكن السور و لا يترك بعض آيات القرآن، يفسر القرآن من أوله إلى آخره بترتيب المصحف كاملاً. يعطي أصل الكلمة و التغييرات فيها مثل الحذف و الإقلاب و سقوط

<sup>90</sup> زاد المسير، VI/460.

<sup>91</sup> زاد المسير، VIII/108-109.

الحروف، إن كانت الكلمة مفرداً يعط جمعها و إن كانت الكلمة جمعاً يعط مفرداها و أيضاً يعطي ماضي فعلٍ مضارعٍ و مضارع فعلٍ ماضٍ و مصدر الفعل. يشرح الحروف الزائدة و الناقصة في الجمل. لذا يكون زاد المسير مصدرًا مشبعا لمن أراد أن يتعرف على كلمات القرآن. فيه لا يُطالُ الكلام مثل ما أطل الفقهاء و الفلاسفة و أهل الكلام و أغرقوا المعنى في التفاصيل، أهم الشيء في زاد المسير هو إيصال المعنى إلى المخاطب.

أخطأ كثير من الناس في الناسخ و المنسوخ. أوصل بعضهم عدد آيات المنسوخة إلى خمسمائة و بالعكس أنكر بعضهم النسخ في القرآن بالكل. كما كان في كل المواضع كان ابن الجوزي معتدلاً في هذه المسألة. هو يقبل النسخ في القرآن لكن إذا قيل هذه الآية منسوخة و هي ليست منسوخة في الحقيقة يبين للقارئ سبب عدم نسخها و ينقذ الآيات الكثيرة من أن تكون فداء النسخ.

تفسيره بعيد عن التطويل ما لا يلزم و عن التقصير. عند الحاجة يطيل الكلام مقدار ما يكفي لكنه في الأزمنة العادية يكتفي بقول متوسط. إذا شرح كلمة في آية لا يشرحها في آية أخرى و يستفيد من العطف. و أحياناً يعطف إلى كتب نفسه. يصل عدد تأليفاته إلى ألف كتاب و يقول أنا شرحت هذا في كتابي كذا و يقدم للطلاب فرصة للوصول إلى معلومات غزيرة.

عند شرح فروق القراءات يمنح التفاصيل العميقة على قواعد اللغة العربية و الأبعاد الخفية و يقوي هذه المعلومات بأمثال من الشعر و بأقوال العرب و خاصة أهل البادية. أيضاً بواسطة تفسيره يمكننا أن نصل إلى كتب المفسرين السابقين الذين لم تصل كتبهم إلى يومنا هذا.

للأسف أن الباحثين في تركيبها لم يتعرفوا على ابن الجوزي و مؤلفاته كما يلزم. و هذا ليس قولاً لا أساس له. اخترت من بين الكتب عشوائياً و نظرت الى عشرين كتاباً أكاديمياً بنية أن أفهم هل هم استفادوا من ابن الجوزي و كتبه و أشاروا اليه في الحاشيات السفلية أم لا و هل اسمه موجود بين مصادرهم أم لا، فوجدت أن بعضهم لم يأخذوا منه و لو كانت كلمة واحدة بالرغم أن ابن الجوزي ألف كتباً في كل العلوم و أنه و آراءه معتدلة و علمية. أتمنى أن يكون عملي هذا سبباً في تعرف أهل العلم عليه فإنه لا توفيق إلا بالله.

## المصادر

ابن رجب عبد الرحمن بن أحمد, الذيل على طبقات الحنابلة, تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان الأسيمن, مكتبة العبيكان, رياض 2005.

أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي, سير أعلام النبلاء, تحقيق: شعيب الأنثووط و حسين الأسد, دار الكتب العلمية, بيروت 1990.

--- تذكرة الحفاظ, تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي, دار الكتب العلمية, بيروت

.1986

أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي, زاد المسير في علم التفسير, تحقيق: زهير الشاويش, دار المكتب الإسلامي, بيروت 1984.

--- فنون الأفتان في علوم عيون القرآن, تحقيق: ضياء الدين عتر, دار البشائر الإسلامية, بيروت 1987.

--- صيد الخاطر, تحقيق: عبد القادر احمد عطا, دار الكتب العلمية, بيروت 1992.

--- نواسخ القرآن, تحقيق: محمد أشرف علي المليباري, مكتبة ملك فهد, المدينة المنورة

.1422

--- مشيخة ابن الجوزي, تحقيق: محمد محفوظ, دار الغريب الإسلام, بيروت 1980.

--- المصطفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ و المنسوخ, تحقيق: خاتم صالح الضامن, مؤسسة الرسالة, بيروت 1986.

أبو المظفر شمس الدين سبط ابن الجوزي, مرآة الزمان في تواريخ الأعيان, الرسالة العالمية, دمشق 2013.

حكمت آكدمير, موسوعة مصطلحات البلاغة, مكتبة النيل, إزمير 1999.

- عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر ابن كثير, البداية و النهاية, تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي, دار الكتب العلمية, بيروت بدون التاريخ
- محمد عبد العظيم, مناهل العرفان في علوم القرآن, دار الكتب العربي, بيروت 1995.
- هارون عبد السلام محمد, معجم مقيدات ابن خلكان, مكتبة الخانكي, قاهرة 1987.
- يوسف إلبان سركيس, معجم المطبوعات العربية, مطبعة سركيس, مصر 1928.